المبحث العشرين:

الأحزاب متعددة الجنسيات.

البند الأول: مفهومها :

نقصد بالأحزاب متعددة الجنسيات تلك التنظيمات السياسية التي تجاوزت الحدود الوطنية والقومية، وبنت نظرياتها ومنطلقاتها الفكرية على أسس فكرية عالمية أو على أسس عقائدية دينية، مثل الحزب الشيوعي الذي نادى بالأممية، وحزب الإخوان المسلمين الذي نادى بالأمة الإسلامية وبنى منطلقاته على أسس دينية (الإسلام).

وهناك أحزاب تُقيّم خطأ بأنها أحزاب أمم حين يتم توصيفها أو تقويمها من قبل البعض على هذا الأساس، وعلى هذا القياس السابق، ومن هذه الأحزاب { حزب البعث العربي الاشتراكي - حزب الاتحاد الاشتراكي العربي - الحزب القومي السوري الاجتماعي - حزب القوميين العرب} وحين نقول قُيمت خطأ فإننا، نعني بأن هذه الأحزاب تختلف عن سابقاتها من حيث:

- أنها أحزاب لم تتجاوز حدودها الوطنية والقومية. إذ قامت فكرتها على مقومات تاريخية وفكرية وعقائدية تضم أبناء الأمة الواحدة، وتضم من يعيش بين ظهرانيها بإخاء ومساواة كاملة .
- أنها اعتمدت في الانتماء إليها على من ينتمون لأمة واحدة لها (أرضها ولغتها وأهدافها ومصيرها وثقافتها الواحدة الخ).

بينما الأحزاب متعددة الجنسيات هي أحزاب تطرح أفكاراً قد نقدرها ونتقاطع معها في العديد من النقاط، ولكننا نختلف معها في الكثير من المقومات، إذ نرى بأفكار هذه الأحزاب بدلاً من أن تكون مناهج حل لقضايا الشعوب، نجدها مناهج لتعقيد قضاياها. بالإضافة إلى أنها تدعو إلى وحدة أمم وشعوب متناقضة في مصالحها وأهدافها ومصيرها وتحالفها وجغرافيتها، حيث لكل من تلك الأمم

obeikandl.com

تاريخه ولغته وثقافته، والتناقض الحقيقي يظهر مع تلك الأحزاب التي تقوم على أساس ديني وطائفي.

إن هذه الأحزاب متعددة الجنسيات، تختلف جذرياً عن تلك الأحزاب التي قامت على مستوى أممها كالأمة العربية أو التي قامت ضمن حضن الأمة العربية، حيث اقتصر تنظيمها على جزء من الأمة أرضاً وشعباً، لكنها بقيت مستغرقة ضمن نسيج هذه الأمة .

البند الثاني: نظرة تقويمية.

أما بالنسبة لأحزابنا في الوطن العربيينطبق عليها قول " اقرأ تفرح جرّب تحزن" لذلك لابد لها من مراجعة جراحية شاملة تستأصل كل ما أصابها خلال القرون الفائتة، وبذلك فهي أمام مهام استثنائية لم تأخذها بعين الاعتبار والجدية في مراحل سابقة منها:

أ -نعلم بأن الفهم الفكري الموحد لأهداف الأمة، غاب فيما مضى، لذلك خلقه يجب خلقه، لأنه ضرورة استراتيجية .

ب -إن العلاقات البينية كانت تناحرية نازفة ولم تكن تنافسية تكاملية متفاعلة يجب خلق البديل لها، طالما الجهود تتجه نحو الهدف .

ت -إن كسب الجماهير ليس مسألة ذاتية أنانية كما عشناه فيما مضى بل هو إنجازات مميز ة على الواقع في كل مجال، هذه الحقائق التي لم تستوعبها تنظيماتنا القومية والتقدمية فيما مضى." علينا إدراكها"

ث -إن هذا الطرح لا يعني اختيار نهج القطيع، بل يعني التكامل والتفاعل بالحوار والعمل والمواقف، ضمن الفهم الفكري الموحد، لأن امتلاك الفكر والرؤية في التوجه نحو الهدف مسؤولية تاريخية.

ه - لقد غابت الوحدة التنظيمية على مستوى الوطن الكبير، للعديد من التنظيمات السياسية، رغم أنها تعتنق مبدئية الوحدة القومية، وهذا خلل خطير يجب علينا تلافيه.

هذه الأساسيات التي غابت نهائيا القرن الماضي، ولازالت حاضرة معنا، مما عرض نضالنا إلى النكسة والفشل وعرض الصفوف للتشظي وهدر الطاقات .

ثانياً - ضرورة خلق وإبداع وامتلاك وحدة الموقف، المبني على أسس علمية حقيقية، عكستها وتعكسها التجربة الفائتة واستلزمتها وتستلزمها مصلحة الأمة حاضراً ومستقبلاً، وذلك من حيث فهم التحدي بكافة عناصره وأبعاده القريبة والبعيدة،

(القناعة الثابتة والمبدئية بأن ما تتعرض له أمتنا، بأنها مؤامرة "راسها الكيان الصهيوني" وطيلة الفترة الماضية والبعض ينفيها ليس بحسن نية).

صحيح أن عللا عديدة تكمن فينا، إلا أن المؤامرة الموضوعة والمحبوكة تغلغلت فينا، وزادت عللنا عللاً ومشاكلنا مشاكل، وكما قال المفكر (كريم بقردوني): إن إسرائيل التي جاءت لإزالة وحدة العرب، الذين أقسموا على إزالتها، استطاعت وحلفاؤها أن تجعلنا على شاكلتها، إذ نرى تشظينا (طائفياً ومذهبياً ودينياً واثنياً، على شاكلة إسرائيل الصهيونية) .

ثالثاً - ضرورة التصدي للمؤامرة المستمرة الهادفة إلى المزيد من تقسيم بلدانها، بدون أي اجتهاد أو تحليل لواقع الأمة المرير الذي تحملته وتحملت تنظيماتها السياسية، وذلك من خلال خطة موحدة وبرنامج عملي ينظم الطاقات والأولويات ويحدد الأزمنة والأمكنة بدون أي تردد أو وجل من أعداء الداخل والخارج، وبدون تعصب لأي عقيدة سماوية أو أرضية.

رابعاً - ضرورة الفهم العميق بأن السبب في تخلف الأمة وتشظيها وتخلفها يكمن في (التعصب الديني، والطائفية والمذهبية والمللية والشعوبية) التي يرغبون في أن تبقى

حية نامية متجددة فينا، تنهش بصفوفنا وتعبث بطاقاتنا، وتبعث بها إلى ما وراء البحار.

خامساً - ضرورة الإيمان والإدراك العميق، بأن السبب الذي يكمن خلف حال الأمة المتردي هذا هو:

- أننا صناع حضارة وروّاد أخوة، ويعمل روّاد تناحر الحضارات بألا نستعيد دورنا، بل بألا نكون !!.
- أننا نملك موقعاً جغرافياً مميزاً في العالم " براً وبحراً، "يجب السيطرة عليه.
- هو الحفاظ على إبقاء رأس المال العربي يُغرق الغرب بنعيمه ويغرق أصحابه الحقيقين بشقائه.
- أننا نملك البترول والغاز وغيرهما "مطلوبين من الكافة "وبخاصة الغرب بقيادة الولايات المتحد الأميركية.
- أننا لم نحافظ على هويتنا القومية ونعيد إليها وحدتها، التي تسلل إلى صفوفها غرباء من استعمار وصهيونية، وشعوبية عنصرية.
- فشل الحكومات العربية في إدارة وقيادة الصراع السياسي وأخواته من صراعات (اقتصادية – عسكرية – ثقافية .. الخ ما هنالك من صراعات) بين الدول وخاصة على منطقتنا العربية، وتحضرني هنا مقولة للكاتب البريطاني " باترك سيل، حول الصراع على سورية" حينما أكد ما معناه [إن من يريد قيادة الشرق الأوسط، لابد له من السيطرة على سورية] وأنا أعتقد بأن هذه المقولة صحيحة ، لأن سورية تعني الكثير، إنها تعني الموقع الجغرافي والحضن الحضاري - وقلب العرب النابض - وتعني بلاد الشام "سورية، لبنان ، الأردن العراق، وفي القلب منهم فلسطين".
- إن ذلك يستوجب من القادة الذين يمتلكون قدرات إبداعية في منع هذا المخطط، "أي الحيلولة دون السيطرة على سورية"، حتى لا يسيطر على الشرق الأوسط، ورغم أن القوى الغاشمة تدرك بأننا نملك مثل هؤلاء القادة، إلا أن تلك القوى الغاشمة، تملك خطة المواجهة، لإفشال مثل هؤلاء القادة،

obeikandl.com

حين بروزهم وقد حصل ذلك على المستوى الشخصي، وعلى المستوى الاعتباري.

فعلى المستوى الشخصي، برز قادة مناضلون كبار مثل{ جمال عبد الناصر - أحمد بن بيلا - هواري بومدين – حافظ الأسد - معمر القذافي - بشار الأسد – اميل لحود - ياسر عرفات – سلطان قابوس - الملك فيصل -صدام حسين وآخرين} ، إنها أعداد وفيرة في أمة لا يتجاوز عدد سكانها 300 ملون نسمة، ولكن كان لكل من هؤلاء الخطة المعادية التي تستهدفه وتستهدف إنجازاته واستنزافه والإيقاع به وببلده.

- وعلى المستوى الاعتباري، فقد استهدفت التنظيمات السياسية التي تبنت فكر شعبها والتي تمسكت بثوابت أمتها، وتلك التي وقفت مناضلة لنشر افكارها مثلا (حزب البعث العربي الاشتراكي – والحزب الشيوعي – والقومي السوري الاجتماعي –والاتحاد الاشتراكي – والقوميين العرب - والوحدويين الاشتراكيين وغيرهم) من قبل الرجعية المحلية والصهيونية والإمبريالية العالمية، خاصة وأن الرجعية العربية تتسلم زمام الأمور في العديد من الأقطار العربية الغنية.

سادساً – إن تقويم التنظيمات السياسية وخاصة تلك التي تتوالد بالعشرات مجدداً تقتضي المسؤولية الوطنية والقومية بحث هذه الظاهرة لتدقيقها وتمحيصها ومعرفة خلفياتها ومراميها، بفعل عاجل ومباشر ودون تردد ، لأن مقتل الأمم يأتي من إهمال (مقوماتها ومبدعيها والاستهانة بإعدائها والثقة بهم).

سابعاً - إعادة النظر في الأولويات النضالية المتصلة بقضايا الأمة الأساسية ووجودها، وتأجيل جميع القضايا الثانوية دون إهمالها، و التي تبدد الجهود و تفرق الصفوف والإمكانات، هذا الموقف الوطني الذي يجب تجسيده على أرض الواقع، من خلال الكلمة والفكرة والممارسة في السر و في العلن، لأن الاجتياح يمثل (تسو

نامي استعماري – استيطاني – عنصري - إلغائي - لماضي الشعوب وحاضرها ومستقبلها).

ثامناً: وحدة الموقف مع القوى الحليفة المقاومة في داخل بلدانها وخارجها، وبمعنى آخر الدعم والالتفاف حول قوى المقاومة الشعبية والرسمية الصادقة التي تواجه هذا (السونامي).

تاسعاً - وحدة الموقف من المنظمات الإقليمية والدولية ذات الصلة بقضايا الشعوب، هذه المنظمات التي سلبت شخصياتها وأدوارها وغدت جزءا لا يتجزأ من أدوات الاستعمار للشعوب وثرواتها .

البند الثالث: نتائج هامة:

مقدمة: إن سقوط الشيوعية والاشتراكية لا يعني أنها كانت ظلامية وسلبية بمجملها، أو أنها كانت الحل الأنجع المجمع عليه عالمياً، كما لا يعني بأن(الرأسمالية) ومن يدعمها من قوى عنصرية ورجعية هي الهدف والحل الأمثل أيضاً، لكننا بالوقت نفسه نرى، بأن النتائج التي وصل إليها كل منهما، لا يعبر عن انتصار أحدهما على الآخر أو انتصار كليهما على عدو مشترك، وبكلمة أخرى يمكننا التأكيد بأن (الشيوعية والرأسمالية) لم يمتلكا الحلول البديلة والمتكاملة، التي تحقق للإنسان اهدافه.

كما أن النتائج التي وصلا إليها وما ما حصل بالوقت نفسه لهذه القوى لا يعني بأنها فشلت في كل شيء، أو يئست من كل شيء، أو غيرت في عقيدتها ونهجها (مع إيماننا العميق بأن القوى المعادية للشعوب مصرة على تحقيق أهدافها وفق مسارها الذي قد يتبدل و يتغير و يتعدل وفق مصالحها، لأنها لن تتخلى عن أسلحتها وأن تستسلم).

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن فشل بعض بلدان (العالم الثالث) يجب ألا يكون إلا حافزاً للإبداع والابتكار والتقدم والتغيير والنضال، من أجل العمل

obeikandl.com

التحرري والوحدوي والتخلي عن الأنانية الذاتية على المستوى التنظيمي والسياسي في الدول الإقليمية أو بشكل خاص على مستوى دويلات التجزئة ((كالدول العربية)) التي جاءت نتيجة لتجزأه قوى استعمارية تستهدف أمته، لذلك فإني أستنتج في هذا المجال نتائج عدة أهمها:

النتيجة الأولى:

لقد سارت الدول الشيوعية شوطاً بعيداً على طريق اهدافها وقد حققت البعض منها، وغيرت جذريا في التوجه العالمي، وفي التنافس بين الاستغلال والقهر وبين المساواة والحرية لبني البشر، حيث تمخض عن هذا التنافس نتائج يجب أن نعترف " بالحالة الإبداعية" في كل منها، بغض الطرف عن موقفنا من هذا وذاك، هذه النتائج التي جاءت بسبب إبداعات وابتكارات الإنسان الذي يعيش على هذا الكوكب، بمعنى أن ذلك حدث في مختلف (المعسكرات إن صح التعبير) وفي كل مجال من مجالات الحياة ولكن هذه الإبداعات لم تصل الى مداها أو الى الحلول الجذرية التي تعني الشعوب التي تطمح الى أفضل – وإني أعتقد بأنها لن تصل، الأمر الذي يجعلنا ندرك بأن الإبداع ضرورة لازمة لبني البشر وهو حالة حقيقة حية يجب البحث عنه إن لم نجده وإن وجد يجب الحفاظ على ديمومته في حياة الشعب، لأن هذا الإبداع مطلوب منه تقديم الكثير والجدي الجديد، الذي يلبي الحاجات المتجددة للإنسانية، لان أي كائن حي عاقل كان (طبيعيا أم اعتباريا) لا يملك الحقائق كاملة) لأننا نؤمن بأن الحقيقة حينما تقترب من كمالها يتسع هامشها أو تفتح مجالاتها لمزيد من التكاملات التي ترفد المحقق من هذا التكامل الذي يصبح بدوره ينشد الأكمل مستقبلا أي التكامل الأمثل وهكذا دواليك.

النتيجة الثانية:

إن "المضيئات" في كلا النظامين الشيوعي أو الرأسمالي، قد كانت مقبولة للشعوب ودولها وإن لم تكن متكاملة، وقد استفاد منها كلا النظامين في العالم، وهنا نلتقط نقطتين:

(1) النقطة الاولى. تتمثل في أن النظام الشيوعي قد استفاد من إنجازاته وتراثه، ولكنه استفاد بالوقت نفسه من النظام الرأسمالي وبعض ميزاته للحفاظ على دوله وعلى انجازاته ليجدد ويطور ويبدع ولكن ليس بعيدا عن مساراته السابقة ، غير أن هذه الإفادة لم تكن بمستوى إفادة النظام الرأسمالي منه في مختلف المجالات.

(2) أما النقطة الثانية، فتتمثل في أن النظام الرأسمالي استفاد ايضا من انجازاته، ومن تجارب النظام الشيوعي كي يصمد في وجه الثورات والمد الشيوعي الذي اجتاح العالم في مراحل مضت.

لذلك نجد فوائد مشتركه عديدة بين النظامين، من حيث التنافس في الإبداع في التقنيات الحديثة والفضاء على سبيل المثال، لذلك كانت عودة النهوض الروسي من جديد تحمل سمات ماضية ومعاصرة، دون ان تهمل الثوابت التاريخية للشعب الروسي ولحلفائه كإعادة النظر بالصيغ الديموقراطية وتوسيع أطرها الشعبية، وكذلك الأمر بالنسبة لدول الغرب الرأس مالي، الذي يتجه الآن نحو التوحد في المجال الاقتصادي والسياسي ،هذه الخطوات تأتي بتأثير التوجه الاقتصادي الشمولي، الذي ساد الاتحاد السوفييتي سابقا وتبرز هذه الخطوات للغرب في [الاتحاد الأوربي– وصندوق النقد الدولي - والبنك الدولي] كما نلمسه من خلال التحالف البيّن بين قوى الغرب في المنظمات الدولية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية {كالأمم المتحدة - واليونسكو - وسواهما) هذه المنظمات التي غدت أداة تابعة للأقوى في العالم.

النتيجة الثالثة:

إن النظام الرأسمالي في العالم، يمتلك قدراته المُعدة والمتحفزة، لبدء أي عمل ينوي القيام به و يملك حلفاء متواجدين في مختلف مناطق العالم وفي كل حين، ولديه القدرة على استدعائهم وزجهم في أي مواجهة، يراها تخدم مصالحه، سواء كانت في تخريب مسارات أو تفتيت أفكار الشعوب وصفوفها أو إجهاض أهدافها .

لذلك رأينا أن (التدين السياسي) ظهر بقوة منظمة وقوية ومؤثرة وإن كانت تنقصه الخبرة والممارسة هذا (الدين السياسي) الذي ظهر جليا وعمليا في التخطيط والتنفيذ الإرهابي في البلدان الفقيرة والبعيدة عن مرابض داعميه في الغرب ماليا وسياسيا وعسكريا، وهذا يشكل خطرا داهما على التراث البشري وعقائده الروحية وعلى اللحمة الاجتماعية الإنسانية التي ينشدها الكائن الحي العاقل.

النتيجة الرابعة:

إن دول العالم وبعض الدول العربية، التي تعمل بصدق ضد هذا الإرهاب بكافة أوجهه، أدركت بأن الاجتياح التدميري البربري الذي يلبس ثياب التدين "كذبا وبهتانا" يستهدف الإنسان ودوله ومصالحه ولكن الذي يجري –بالنسبة لنا - في الحقيقة بالإضافة لذلك فهو يستهدف اجتثاث الأمة العربية، بينما القوى الغربية وبعض الدول العربية التي تغير مواقفها بين الحين والآخر، إزاء ذلك فيعود إلى استشعارها الخطر الذي لابد واصلها لا محال، لذلك تحاول اليوم أن توقف مده ضد مصالحها فقط ، لأنها هي التي صنعته، و تدعي محاربته والوقوف ضده، لأنه تمادى ولم يفعل ما خطط له.

النتيجة الخامسة:

يجب إعمال التفكير الاستراتيجي لخلق البيئة الإبداعية اللازمة، لأنها السبيل الوحيد الذي يبعث (علماء الأمة ومبدعيها ومبتكريها وقادتها) من قلب المعاناة، هذا التفكير الذي يجب أن يؤمن بقدرات الأمة ودورها تلك القدرات التي تنتظر عقول أبنائها المبدعين ، التي باستطاعتها إنهاضها وبعثها وتوحيد طاقاتها، من خلال الخلق والإبداع وتوظيفها في المسار الذي تنشده الأمة ، بعد تحليل جميع الظواهر المتقدم ذكرها بعلمية وواقعية ومسؤولية ، وهذا الأمر ينطبق على العمل السياسي وتنظيماته على مختلف مشاربه.

وهنا نؤكد بأن التحديات التي واجهتها الأمة، كانت فريدة من نوعها في العالم، فهي ثقيلة ومتشابكة ومعقدة، مما يؤكد النظرة العدائية غير المبررة من الآخر

لهذه الأمة ، كما يؤكد أهمية و دور هذه الأمة في مواجهة أعدائها، وفي مواجهة القوى الغربية المستعمرة، الأمر الذي يجعلنا ندعو بقناعة "تاريخية ومعاصرة " إلى بعثها من جديد خاصة وهي أمة مبدعة، تؤمن بالإخاء الإنساني، وأعطت للإنسانية علما وعملا ومنارات لازالت حية ترزق .

كمآ يجب الأخذ بعين الاعتبار (بأن القيم الروحية يجب أن تكون مصدر قوة ووحدة في العمل القومي، آخذين بعين الاعتبار بأن فصل "الدين عن الدولة "على سبيل المثال، كلف الغرب تضحيات عظيمة حتى استطاع هذا الغرب أن يحقق هذا الفصل، ويميز شخصية الدولة المدنية المعاصرة عن قيم روحية استغلت من قبل البعض ضد الله والبشر والدولة المنشودة، التي تستلهم مضيء الماضي ولا تسقطه بسرائه وضرائه.

إنني أعترف بأنني حين أكتب، أشعر عند الاقتراب من بعض الأسوار الحساسة والساخنة كالمسائل الروحية والفكرية، أحاول تسليط الضوء دون الابتعاد عن تلك الأسوار، وأقول ذلك للنخبة، كي لا يخلط الغث بالسمين من قبل المتربصين.

obeikandl.com